



مزاوجة القرآن

بين سنن الله في الأنفس وسننه في الأفاق

MÜZAVECETU
EL-KUR'AN

RAMADAN KHAMIS

1. Baskı: İstanbul
2025 - 1447

مزاوجة

العرفان

بين سنن الله في الأنفس وسننه في الآفاق

من رشد المقاصد إلى فاعلية الآثار

أ.د. رمضان خميس

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
في كلية الشريعة جامعة قطر

مزاوجة القرآن

بين سنن الله في الأنفس وسننه في الآفاق
من رشد المقاصدي إلى فاعلية الآثار

أ.د. رمضان خميس

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
في كلية الشريعة جامعة قطر

القياس: 21.5 X 14.5 سم
عدد الصفحات: 64 ص

ISBN: 978-625-5521-67-5

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

جميع الحقوق محفوظة

الهيئة العالمية
لتحذير القرآن الكريم
22762 Doha, Qatar
+974 44181826
ladabborq@gmail.com



مكتبة الأسرة العربية

شارك الأفضل للمعرفة الآمنة

طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مختارة للأسرة العربية



www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 555 028 11 55

info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®

BASIN - YAYIN - DAĞITIM

Sertifika No: 65276

UFUK NEŞRİYATIN® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: Yılmaz Basimevi maltepe Mh. Litros Yolu 2.Matbaacılar Sit, 2E1 İstanbul

مَقَامَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لله وحده وصلاة وسلاماً على من لا نبي بعده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
وآله وصحبه أما بعد،،،

فالمأمل للقرآن الكريم مفردةً وأسلوباً، ونظماً وتركيباً، وتقديماً وتأخيراً،
وذكراً وحذفاً، وإظهاراً وإضماراً، وعدولاً وتحويلاً... يجد أن له منهجيةً مطردة
وطريقةً سارية مستقرة في التناول والعرض والذكر والحذف وفي كل سبيل
يسلكه وطريقة يتبعها؛ حفزاً للعقل أن يتابع ويعرف، وللنفس أن تتأمل وتعي،
وللإنسان كل الإنسان أن يتدبر ويطبق، وفي هذا دعوة إلى المسلمين خاصة والبشر
عامة أن يدوروا حول القرآن تدبراً وتشويراً وتأملاً وتنزيلاً؛ ففيه صلاحهم
وفلاحهم في معاشهم ومعادهم؛ فالقرآن الكريم هو كتاب الزمان كله وكتاب
المكان كله وكتاب البشرية كلها، امتد طويلاً حتى شمل آباء الزمن، وامتد عرضاً
حتى انتظم آفاق الأمم، وامتد عمقاً حتى شمل أمور الدنيا والآخرة...

وكما قال ابن مسعود، رضي الله عنه وأرضاه: «من أراد خير الأولين والآخريين
فليثور القرآن، فإن فيه خير الأولين والآخريين».^(١)

(١) المعجم الكبير للطبراني ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية -
القاهرة، الطبعة: الثانية (٩ / ١٣٥).



وفي لفظ: «من أراد العلم فليثور القرآن» أي لينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته (١).

ومن خلال الدرس المنهجي والتدريس التعليمي والتتبع الواقعي لمضامين عديدة وقضايا وفيرة تؤكد أن القرآن له منهجية ثابتة رائدة في تتبع قضاياها وفي عرضها في كل قضية من قضاياها يحسبها القارئ العاجل فلتة سائبة وبيصرها القارئ الراشد فيجدها مطردة متوازنة، كأنها سبيكة واحدة، يمهدها أولها لآخرها ويؤكد آخرها أولها في تناغم واتساق..

وسنن الله تعالى في الأنفس والآفاق التي نقف أمامها الآن، والتي عرضها القرآن الكريم، عرضها بمنهجية لافتة للنظر توقفت أمامها طويلاً وأنا أتتبع بحث السنن وحقوقها وفعلها في النفس والإنسان ووجدت أنه لا يوجد موضع يتناول سنن الله في الأنفس إلا ومعه سنة من سنن الله في الآفاق.

إن سنن الله تعالى سواء أكانت كونية أم بشرية مرتبطة أشد الارتباط في وحدة نظامية يأخذ بعضها بحجز بعض، وتتماسك في اتساق حتى تكون نظاماً كونياً متناسقاً أبدع ما يكون التناسق، يسير العالم في ظله بسماواته وأراضيه ومن فيهما وما فيهما وما بين ذلك من خلق لا يعلم عدده ولا حقائقه إلا مقدره وخالقه، محكوماً بتلك السنن الإلهية التي لا تحيد عن خطها المرسوم في لوح الأزل، وإنما عقول البشر هي التي قد تنحرف عن مهيع التناسق الكوني إفراطاً أو تفريطاً، قصوراً عن إدراكه وشائج التناسق، أو جموحاً في ارتياد تلك الشائج، فتتوهم

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات، الناشر: المكتبة العلمية -

بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي (١/ ٢٢٩).

وتتخيل، ثم لا تلبث الحقائق الكونية في سنن الله أن تردها إلى دائرة الحقيقة الكونية الكبرى^(١) ﴿* إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^(٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ [فاطر: ٤١ - ٤٥].

وهذا قل من كثر وغيض من فيض ونزر يسير من معين لا ينضب؛ ولم لا؟ وهو الذي لا يخلتق على كثرة الرد، ولا تنتهي عجائبه، ما إن سمعته الإنس حتى قالوا (إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة)^(٢)، وما إن سمعه الجن حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾^(١) [الجن: ١]... حتى استقر في نفسي أنه لا توجد سورة من سور القرآن عرضت لسنن الله في الأنفس إلا وقد عرضت لسنن الله في الآفاق.

لقد كان هذا الشعور خاطرا فصار حاضرا، وكان في نفسي توقعا فأصبح واقعا؛ فقد حصرت في مشروع سنني كامل يتغيا استقراء آيات السنن في

(١) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، للمرحوم الشيخ محمد الصادق عرجون، ص ٣، ط الدار السعودية، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي مخرجا أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: د. عبد المعطي قلعي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨، (٢/ ١٩٩).

القرآن الكريم في مشروع تفسيري عكفت عليه عدة سنوات - فوجدت أن آيات السنن بلغت سبعا وستين ومائة وألف (١١٦٧) سنة من سنن الله تعالى (١)، وكل سورة بل كل موضع وردت فيه سنة من سنن الله في الإنسان وردت فيه سنة من سنن الله في الأكوان، سواء على مستوى الكون وظواهره أو سنن التاريخ وعبره في قصص القرآن أو حديثه عن الغابرين.

إن أول ما نزل من القرآن طرا جمع بين قراءة المسطور والمنظور، ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العَلَقُ: ١ - ٢].

ولا شك أن هذا الاطراد له مقاصد وغايات، وله آثار ونتائج على مستوى المعرفة والترشيد وعلى مستوى التطبيق والتنزيل، وتسعى هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن ملامح هذه المنهجية القرآنية المطردة، للوصول إلى غاياتها ومقاصدها من هذه المزاجية، وتلمس آثارها ونتائجها في الوعي والسعي وفي الإدراك والحراك وفي التأصيل والتنزيل، وفي الفهم والتسخير قدر الطاقة البشرية، فإن أصبت غايتي فأمل بعيد أو شك على التحقق، وإن كانت الأخرى فحسبي نية صادقة وجهد مبذول، (ومن أكثر من الطرق أو شك أن يفتح له) أو كما قال أبو الدرداء (من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له) (٢) (ومن أدلج بلغ المنزل) (٣)

(١) نحو تفسير سنني لسور القرآن الكريم، ط أولى عام ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ ط دار المقاصد، د رمضان خميس، الكتاب يلخص فكرة هذا المشروع.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ت: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ (٢٢ / ٦).

(٣) المستدرک على الصحيحين للحاكم لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ (٣٤٣ / ٤).

لا تلم كفي إذا السيف نبا ❁❁❁ صح مني العزم والدهر أبي^(١)

وسؤال الدراسة الرئيس هو: هل للقرآن الكريم منهجية في مزاجته بين سنن الأنفس وسنن الآفاق؟ وما أثر هذه المزوجة ترشيدا وتأثيرا؟ ويتفرع عن هذا أسئلة منها:

ما هذه المنهجية القرآنية في المزوجة بين سنن الأنفس وسنن الآفاق؟

ما غايات منهجية القرآن في المزوجة بين سنن الأنفس وسنن الآفاق؟

ما آثار منهجية القرآن في المزوجة هذه على الوعي والسعي والترشيد والتقصيد؟

وأسعى في هذا المضمار جاهدا أن أكشف عن جلاء علاقة المزوجة أو خفوتها، وظهورها أو بهوتها، كما أنني أتغيا الوقوف على إبراز العلاقة بين الترشيد والتأثير في هذه المزوجة القرآنية، وهل هي علاقة اطرادية أو عكسية وبيان أثر إدراك الفرد والمجتمع لهذه المنهجية في المزوجة على مستوى الفرد والمجتمع وعيا وسعيا وإدراكا وحراكا...

ثم معرفة أثر السياق الخاص على منهجية المزوجة...

وأعتمد في هذه الدراسة المنهاج الاستقرائي الناقص، - لكفايته وغنائه مساحةً وغرضا- في تتبع موارد آيات المزوجة، وأسلك المنهاج التحليلي في تبيان غاياتها ومقاصدها، وأعتمد المنهاج المختار في التفسير الموضوعي الذي يلم شتات الفكرة في موضع واحد حتى تبين صورتها للناظرين.^(٢)

(١) البيت لشاعر النيل حافظ إبراهيم، انظر ديوانه.

(٢) يراجع في تبيان هذا المنهاج المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م خاصة عند رصده للخطوات الثمانية لمنهج التفسير الموضوعي ص ٥٧ وما بعدها.



وتأتي هذه الدراسة بعد المقدمة في مبحثين وخاتمة؛ أما المقدمة فأذكر فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته والمنهجية المتبعة في تناوله.

وأما مباحثه فتأتي على الصورة التالية:

- المبحث الأول في منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق - الغايات والمقاصد.
- المبحث الثاني في منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس والآفاق - الآثار والنتائج.
- ثم تكون الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- والله وحده المستعان وعليه التكلان وهو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

غايات ومقاصد منهجية القرآن في المزاجية
بين سنن الأنفس والآفاق

قبل الحديث عن المنهجية القرآنية في المزاجية أريد أن أضع بين يديك بعض القبلات التي تسهم في إحسان التصور لهذه القضية؛ فإحسان التصور سبب في إحسان التصوير؛ فالوعي قبل السعي والفهم قبل التسخير والإدراك قبل الحراك

قبلات معرفية

١ - هل العلاقة بين سنن الله في الأنفس وسننه سبحانه في الآفاق جلية ظاهرة؟

التالي للقرآن الكريم بادي الرأي يدرك أن هذه العلاقة سارية في مفاصل السور بصورة سلسلة مناسبة كأنها قطرة تسيل من فم السقاء، لا تلتفت إليها العين العابرة من شدة انسياها وسلاستها؛ وهذا من إلفنا أو إلف أكثرنا على الأقل للقراءة التي تقف عند الرغبة في تحصيل الأجر والثواب؛ فهي ترى أن القراءة في ذاتها غاية، كما يقول السيد القطب (وإلف النظرة يذهب بهاء العبرة)، مع أن القرآن نفسه دعانا إلى القراءة البانية التي تحرك النفس والحياة ودعا إلى تنوع صور التعامل مع الآيات الكريمة في حالات متعددة؛ قصد الوصول إلى أبعاد غايات التدبر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ وَمَا يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ آيَاتٌ كَمَا كُنْتُمْ آيَاتٍ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ [سَيِّ: ٤٦].

وعليه فهذه العلاقة بينة جلية لمن امتلك أدوات الكشف عنها ولو كانت تلك الأدوات أساسية أولية، وليس شرطا أن يكون من العلماء المتبحرين أو المفسرين الراسخين بل سيأخذ كل على قدر كل، وتلك من قسم الأرزاق ومواهب الخلاق سبحانه

ولكن تأخذ الأفهام منه ❁❁❁ على قدر القرائح والفهوم (١)

٢- بين سنن الله في الأنفس وسننه في الآفاق عروة وثقى ووشيجة لا تنقطع

بين سنن الله تعالى في الأنفس وسننه في الأكوان صلاة وعلائق وروابط ووشائج، تمثل أثر صنع الله تعالى الحكيم، صنعه في الإنسان والأكوان على حد سواء، فسنن الله تعال في الأكوان ظاهرة باهرة سريعة اللمح بينة الوقوع، وسننه في الإنسان تتسم بكل سمات سننه في الأكوان غير أن زمن تحققها أوسع مدى وأبعد وقتاً؛ فلذا يلفت نظر الإنسان ظواهر الكون لأنها مادية ملموسة سريعة محسوسة، يمكن القطع فيها عند الاختلاف؛ فإذا اختلفنا مثلاً على: (متى يغلي الماء ومتى يتجمد) يمكن أن نرفع الخلاف في بضع دقائق هي المساحة الزمنية التي تُجري فيها التجربة بوضع كأس على موقد حتى يغلي وأخرى على مبرد حتى يتجمد وتنفض المعركة الخلافية حينئذ، أما إذا قلنا إن النصر له نواميس تحكمه وسنن يمضي من خلالها، فهذا أمر آخر يحتاج في إثباته عملياً إلى أوقات وسنوات، وقد نقتنع نظرياً بتأصيل المسألة لكن من ناحية اليقين الحق أو حق اليقين أو عين اليقين فلا نصل إلى هذا ببسر كما وصلنا في تجربة الغليان للماء وتجمده، ومن هذه الوشائج الماسكة بين سنن الأنفس وسنن الآفاق مثلاً لا حصراً.

(١) البيت للمتنبي، انظر قصيدته إذا غامرت في شرف مروم... من ديوانه عناية مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ط أولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م ت محمد البطشان ص ٥٧٢.

التوازن والنظام:

فالتوازن والنظام أساس الكون كله أنفسا وآفاقا من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة ومن سنن الله في الإنسان إلى سننه في الشعوب والمجتمعات والأمم بل في سننه تعالى في الاقتصاد والزراعة والصناعة والتجارة وسننه في أصغر وحدة إنسانية مجتمعية (الأسرة).

وهذه الوشيحة الرابطة بين نوعي السنن الكبرى ماضية لا تتوقف ثابتة لا تنقطع ...

«فلقد توصل علماء دراسة الذرة إلى ما حير الألباب وأذهل العقول بتكوين هذا الكون والنظام الذي يحويه... والقدرة التي يتحدث عنها إن نواة الذرة تحتوي على ٩٩, ٩ من الوزن الذري، وقد وجد كذلك أن الشمس تحوي ٩٩, ٩ من وزن المجموعة الشمسية، فعرفوا أن النواة في الذرة هي بمثابة الشمس في المجموعة الشمسية، ولوحظ كذلك أنه كما تدور الكواكب حول الشمس تدور الإلكترونات حول نواة الذرة؛ بل وجد ما هو أدق من ذلك، فالمسافة بين الإلكترونات بالنسبة لقطر الذرة معادلة لنفس المسافة بين الكواكب وقطر مجموعة الشمس^(١).

وهذا التوازن والنظام المطرد بين مظاهر الكون لا يتوقف عند حد، ولا ينتهي عند نوع دون نوع من جوانب الكون، وهذا سر لُفِت القرآن الكريم أنظارَ الناس إلى السماء وما فيها والأرض وما عليها، وكثر ربط هذه المظاهرة

(١) انظر: الله والعلم الحديث، ص١٥٦، ١٥٧، دار الشعب ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م للأستاذ عبد الرزاق نوفل بتصرف يسير، وانظر خلق الإنسان بين العلم والقرآن ج٢ ص٣٠٩، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، للدكتور عبد الفتاح طيره. وانظر أيضا القرآن والعلم الحديث، د/ منصور محمد حسب النبي، ص٢٢٧، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

الواضحة بالسلوك البشري والفعل الإنساني وفي كل يوم يكشف العلماء ما يجعلهم يزدادون إيماناً بالخالق الذي وضع الميزان لكل ما خلق، وفي الحياة يستطيع أي مشاهد أن يلمس الاتزان الذي يظهر جلياً فيما حوله. إن زوج الذباب العادي ينتج خمسا وعشرين مليوناً من الذباب في العام، فكيف تكون الحال لو عاش الذباب أكثر مما يعيش؟! ولو عمر الإنسان أو النبات أو الحيوان ولم يجر عليه ما يجري على الأحياء من الموت، فكيف تكون الحياة؟!^(١)

وهذا ما تجده في تعبير القرآن في جواب موسى عليه السلام على فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ ٤٩ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ وَتَمَّ هَدَى﴾ ٥٠. [طه: ٤٩ - ٥٠].

والتعبير بـ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ﴾ بيان لسنته تعالى في توازن عناصر كل مخلوق توازناً جرى على تقدير منسق محكم. والتعبير بقوله ﴿تَمَّ هَدَى﴾ بيان لسنة الله تعالى في توازن التمكين الذي أوتيه كل مخلوق في طرائق عيشه وضوابط حياته^(٢).

بل إن هذا الربط اللافت للنظر بين الخلق والهداية لعجيب جد عجيب؛ حتى إنه تكرر في حق إبراهيم ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ٧٨ ﴿الشُّعْرَاءُ: ٧٨﴾، وموسى ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ وَتَمَّ هَدَى﴾ ٥٠ [طه: ٥٠]، ومحمد ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ١ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ٢ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٣ ﴿[الأعلى: ١ - ٣]، عليهم جميعاً أسمى الصلاة والسلام حتى عد هذا التزاوج بين

(١) السابق ص ١٥٨، بتصرف يسير.

(٢) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، للمرحوم الشيخ محمد الصادق عرجون، ص ١٦، ط الدار السعودية، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

دليل الخلق ودليل الهداية برهاننا بل حجة برهانية على أن الخالق هو من يهدي إلى الصراط المستقيم وأن الحياة بلا هداية كلا حياة بل هي الموت المحقق...

وهي هي الطريقة ذاتها والعادة نفسها التي مضى عليها القرآن الكريم حتى في تلقين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأتمته من بعده حجبتهم في عرض الدعوة على الخلق فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٤ - ٣٥].

ولذا قال العلامة الرازي «الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولاً، ثم بالهداية ثانياً، عادة مطردة في القرآن،... وهو في الحقيقة دليل شريف، لأن الإنسان له جسد وله روح، فالاستدلال على وجود الصانع بأحوال الجسد هو الخلق، والاستدلال بأحوال الروح هو الهداية»^(١)

وآيات القرآن الكريم توحى بهذا التوازن المطرد والنظام الدقيق الذي ينظم الأشياء جميعها صغيرها وكبيرها على حد سواء...

«والثناء على الله تعالى بعد الأمر بتقديس اسمه الذي انبثقت منه سننه الكونية في تدبير ملكه وتربيته خلقه بأنه قدر خلق كل خلق وسواه في أوضاع عناصره تقديراً متوازناً مع سائر عناصر الكون والحياة، بيان لسنة الله تعالى في نظامه الأبدي للكون. والثناء على الله سبحانه بأنه قدر خلق كل من خلق وسواه في صورة لا تتكرر وهي في موضعها من الحياة والكون، تؤدي مهمتها

(١) مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ - ١٧ / ٢٤٩.

التي لا تؤديها صورة أخرى في مخلوقات الله، بيان لسنة التوازن الأبدي في خلق الله، وبيان لارتباط حياة كل مخلوق في طريقة عيشه بطبيعته وخلقته التي أبدع عليها. (١)

الإحكام المطلق: (تقدير)

ومن أهم الوشائج بين سنن الأنفس وسنن الآفاق الإحكام في صنع كل حقل من هذه الحقول السننية على مستوى الأنفس ومستوى الآفاق هذا الإحكام الثابت والضبط المطرد؛ ذلك أن مدبرهما واحد، وهو ما عبرت عنه آية يس: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢٨).

ولعل هذا الانضباط التام والإحكام المطلق الذي لا يجد الإنسان في جانب من جوانبه شيئاً من فطور، هو ما جعل القرآن الكريم يلفت أنظار الناس إلى جوانب الكون ومظاهره، وجعل الله تعالى هذه الدلالات شواهد دالة على استحقاقه للتنزه والتقديس ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ [الملك: ١ - ٤].

(١) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ص١٧، ١٨.

المطلب الأول



ملامح منهجية القرآن في المزاوجة بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

تتسم منهجية القرآن الكريم في المزاوجة بين سنن الأنفس وسنن الآفاق بعدد من الملامح، وقبل الحديث عن هذه الملامح كنت قد حرصت أن أستحضر عددا من النماذج من الآيات الكريمة التي شملت عددا من سنن الأنفس والآفاق أختارهم بصورة انتخابية ليست متعمدة، لكن عند التطبيق وجدت أن هذه النماذج غنية بالملامح والمعالم بما يجعلها تحتاج إلى دراسات مطولة لا يتناسب معها المقام ولا الزمان؛ فاقصرت على نموذج واحد اخترته من سورة يس ثم أُجري عليه بعض المقابلات التي تؤسس المعنى الذي أريد الوصول إليه.

نموذج الدراسة من سورة يس من الآية ٣٠ إلى الآية ٥٤.

من قوله تعالى ﴿يَكْسَرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٣٠] إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٣٠ - ٥٤].

نلاحظ بداية أن الآيات الكريمة تناولت عددا من السنن في الأنفس والآفاق فمن سنن الأنفس:

- سنة الله في موقف العباد من المرسلين، ﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [يس: ٣٠].
- سنة الله في إهلاك القرون، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ [يس: ٣١ - ٣٢].
- سنة الله في موقف المدعويين من الآيات، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [يس: ٤٦].
- سنة الله في الجزاء ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ [يس: ٥٤].

● هذه المجموعة من السنن وردت في سورة واحدة وأثرت فقط أن أطبق على وجهين من السورة الكريمة وإلا فالسورة فيها عدد آخر من سنن الله في الأنفس لكن حتى يكون النموذج بينا موصولا بصورة حاضرة، ومجموع هذه الآيات الكريمة ٢٤ آية أتت في وجهين من أوجه المصحف الشريف، إذا تأملنا هذا وجدنا في هذه الآيات الأربع والعشرين سننا في الآفاق تتناول الحديث عن:

- ◀ الأرض الميتة وإحيائها
- ◀ ما تنبته الأرض من حب منه يأكلون، وما فيها من جنات من نخيل وأعناب وتفجير ما فيها من العيون.
- ◀ الليل وسلخ النهار منه فإذا هم مظلومون
- ◀ الشمس وجريانها لمستقر لها وأن هذا تقدير العزيز العليم.
- ◀ القمر وتقديره منازل حتى عاد كالعرجون القديم.

◀ الانضباط والإحكام في جريان الشمس والقمر فهي لا ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون.

◀ حديث عن نجاة البشرية مع أبيها الثاني نوح عليه السلام: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

فبعد أن عرضت السورة الحديث عن المشركين الذين واجهوا دعوة الإسلام بالتكذيب والمثل الذي ضربه لهم في قصة أصحاب القرية المكذبين وما انتهى إليه أمرهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩].. يبدأ الحديث في هذا الدرس بالتعميم في موقف المكذبين بكل ملة ودين ويعرض صورة البشرية الضالة على مدار القرون، وينادي على العباد نداء الحسرة وهم لا يتعظون بمصارع الهالكين، الذين يذهبون أمامهم ولا يرجعون إلا يوم الدين: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَامًا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]..

ثم يأخذ في استعراض الآيات الكونية التي يمرون عليها معرضين غافلين وهي مبثوثة في أنفسهم وفيما حولهم وفي تاريخهم القديم.. وهم مع هذا لا يشعرون، وإذا ذكروا لا يذكرون: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦].. وهم يستعجلون بالعذاب غير مصدقين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يس: ٤٨] وبمناسبة الاستعجال والتكذيب يستعرض مشهدا مطولا من مشاهد القيامة يرون فيه مصيرهم الذي به يستعجلون، كأنه حاضر تراه العيون^(١).

(١) في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط/ ٣٢،

(١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م). (٥/ ٢٩٦٦).

هذا العموم الذي لف العباد كل العباد وشمل القرون كل القرون، حتى نادى القرآن بالحسرة على العباد كل العباد، هذا العموم هو أهم سمة من سمات السننية والتي على أساسها يدعو القرآن إلى النظر والاعتبار ويدعوهم إلى النظر فيما حل بالقرون الأولى وأن يذكروا نعم الله تعالى عليهم في هذه الأرض بما فيها وما عليها وهذه السماء وما تحمل من شمس وأقمار، والليل والنهار، وتسخير هذا الكون كله لهم حتى يكونوا هم عبادا لله والله وحده لا لأحد سواه.

نلاحظ من ملامح هذا التناول والتزاوج بين سنن الأنفس وسنن الآفاق ملامح من أهمها:

التماسك والاتساق بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

يعرض القرآن الكريم سننه بنوعيتها في صورة متناسقة متماسكة يمهد سابقها للاحقها ويؤكد لاحقها سابقها في صورة سلسلة مناسبة، لا عوج ولا أمت ولا تكلف ولا اعتساف، بل تسري الآيات كلها آخذ بعضها بحجز بعض، لا يشعر القارئ بينها بانقطاع أو انفلات،... ولولا التنبيه عليها والإشارة إليها لما التفتت العين المقتحمة إلى هذا التنوع بين حقلي السنن، وقد نصت آيات القرآن تأصيلا إلى سبب هذا التماسك في آيتين عجيبتين، آية فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۗ﴾ [فصلت: ٥٣].

وآية الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وفي هذا إشارة إلى « أن كل ما سوى الله تعالى إما من عالم الخلق أو من عالم الأمر، أما الذي هو من عالم الخلق، فالخلق عبارة عن التقدير، وكل ما كان جسماً أو جسمانياً كان مخصوصاً بمقدار معين، فكان من عالم الخلق، وكل ما كان بريئاً عن الحجمية والمقدار كان من عالم الأرواح ومن عالم الأمر»^(١)؛ فالكل راجع إليه وصائر بين يديه سبحانه.

والمتتبع لحديث القرآن عن الخلق والأمر يجد هذا الاطراد بين الخلق والأمر سواء أكان أمراً مباشراً أو غير مباشر، ويمكن مراجعة هذه الآيات الكريمة لنقف على عناية القرآن بالجمع بين أمرى الخلق والأمر في سور: البقرة ٢١، آل عمران: ٤٧، ٥٩، النساء: ١، التوبة: ٣٦، يونس: ٣، الشورى: ٤٩، وغيرها من السور الكريمة التي عنيت بهذا.

وكل حقل من حقل السنن على حدة متسم بنفس السمة من التماسك والاتساق فهي «بصفة عامة سواء أكانت كونية أم بشرية مرتبطة أشد الارتباط في وحدة نظامية يأخذ بعضها بحجز بعض، وتتماسك في اتساق حتى تكون نظاماً كونياً متناسقاً أبدياً ما يكون التناسق، يسير العالم في ظله بسماواته وأراضيه ومن فيهما وما فيهما، وما بين ذلك من خلق لا يعلم عدده ولا حقائقه إلا مقدره وخالقه، محكوماً بتلك السنن الإلهية التي لا تحيد عن خطها المرسوم في لوح الأزل، وإنما عقول البشر هي التي قد تنحرف عن التناسق الكوني إفراطاً أو تفريطاً، قصوراً عن إدراك التناسق أو جموحاً في ارتياد تلك الوشائج؛ فتتوهم وتتخيل ثم لا تلبث الحقائق الكونية في سنن الله أن تردّها إلى دائرة الحقيقة الكونية الكبرى ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١] (٢).

(١) مفاتيح الغيب ١٤ / ٢٧٢.

(٢) سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، ص ١١.

التناسب بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

فهناك علاقة واضحة بين الآيات التي تأتي لتقييم سنة من سنن الله تعالى في الأنفس ونظائرها من سنن الآفاق، ففي هذا النموذج حديث عن الأرض الميتة وإحيائها «إشارة إلى الحشر، فذكر ما يدل على إمكانه قطعاً لإنكارهم واستبعادهم وإصرارهم وعنادهم، فقال: ﴿آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] كذلك نحیی الموتى»^(١).

هذا التناسب بين إحياء الأرض الميتة وإحيائهم هم وبعثهم للنشور، فإن من يحيي الأرض الميتة والأرض الجُرُز يحي الأجداد الميتة للحساب والجزاء، بهذا التناسب والتناسق بين سنن الآفاق وسنن الأنفس.

الاستدلال بالظاهر الجلي والبعد عن الغامض الخفي بأبلغ الوجوه

وهذا نلاحظه في الاستدلال بما ذكرته الآيات الكريمة الأرض مع ظهورها للخلق وانتفاعهم بها، لمن لم يلتفت إليها ولذا أجاب الإمام الرازي عن سر لفت النظر إلى الأرض مع ظهورها بأن القرآن يريد أن الآية تعدد وتسرد لمن لم يعرف الشيء بأبلغ الوجوه، وأما من عرف الشيء بطريق الرؤية لا يذكر له دليل... فهؤلاء تبين لهم الحق بالآفاق والأنفس، وكذلك هاهنا آية لهم»^(٢).

(١) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٢).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٢).

البسط والتنويع في سنن الآفاق والاختصار في سنن الأنفس

وهذا ما نلاحظه من عدد السنن الواردة في الشريحة القرآنية الكريمة مقارنة بعدد سنن الآفاق في الآيات ذاتها؛ إشارة إلى أن الغرض الأسمى هو لفت أنظار العباد إلى السنن التي أقام الله عليها حياتهم والتي بها سعادتهم أو شقاوتهم، أما اختها فهي شارحة ومبينة وبأسطة ومجلية لهذه السنن في أنفسهم.

التعقيب بآيات الآفاق على آيات الأنفس

وهذا واضح من النص على إخراج الحب من الأرض وكان كافيا أن يلفت القرآن النظر إلى الأرض فقط أما النص على (الميتة) و(أحييناها) و(فأخرجنا منها حبا) «فله فائدة بالنسبة إلى بيان إحياء الموتى؛ وذلك لأنه لما أحيأ الأرض وأخرج منها حبا كان ذلك إحياء تاما؛ لأن الأرض المخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبت في الحياة، فكأنه قال تعالى الذي أحيأ الأرض إحياء كاملا منبثا للزرع يحيي الموتى إحياء كاملا بحيث تدرك الأمور»^(١).

التودد إلى العباد بما فيه صلاحهم وسعادتهم

من هذا التودد إلى العباد تذكيرهم بنعمه سبحانه عليهم، «والسر في ذكر الأرض أنها مكانهم ومهدهم الذي فيه تحريكهم وإسكانهم والأمر الضروري الذي عنده وجودهم وإمكانهم وسواء كانت ميتة أو لم تكن فهي مكان لهم لا بد لهم منها فهي نعمة ثم إحياءها بحيث تخضر نعمة ثانية فإنها تصير أحسن وأنزه، ثم إخراج الحب منها نعمة ثالثة فإن قوتهم يصير في مكانهم، وكان يمكن أن يجعل الله رزقهم في السماء أو في الهواء فلا يحصل لهم الوثوق، ثم جعل الجنات فيها

(١) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٢).

نعمة رابعة؛ لأن الأرض تنبت الحب في كل سنة، وأما الأشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا خصص النخيل والأعناب بالذكر من سائر الفواكه لأن ألد المطعوم الحلاوة، وهي فيها أتم ولأن التمر والعنب قوت وفاكهة، ولا كذلك غيرهما ولأنهما أعم نفعا فإنها تحمل من البلاد إلى الأماكن البعيدة^(١).

وهذه الصورة من الذكر والإنعام لون من ألوان التودد إلى العباد؛ تقريرا لهم، وتأليفا لنفوسهم، وهذه طريقة القرآن وعادته في بيان مراد الله تعالى كما بدا ذلك في صدر سورة الرحمن كما ذكر الطاهر بن عاشور رحمه الله: (لأن معظم هذه السورة تعداد للنعم والآلاء فافتتاحها باسم الرحمن براءة استهلال، وقد أخبر عن هذا الاسم بأربعة أخبار متتالية غير متعاطفة رابعها هو جملة ﴿الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٥]... لأنها جيء بها على نمط التعديد في مقام الامتنان والتوقيف على الحقائق والتبكيك للخصم في إنكارهم صريح بعضها، وإعراضهم عن لوازم بعضها كما سيأتي، ففصل جملتي ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [٣] عَمَلَهُ الْبَيَانَ [٤] [الرَّحْمَن: ٣-٤] عن جملة ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ خلاف مقتضى الظاهر لنكتة التعديد للتبكيك^(٢).

التدرج والترتيب في الاستدلال بسنن الآفاق على سنن الأنفس

كما نلاحظ هنا في هذا النموذج البديع من المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق التدرج الواضح في طريقة هذه المزاجية، وفرق بين طريقة البيان عن الانتفاع بالثمار عن الانتفاع بالحب كما ذكرت الآيات الكريمة، «فأخر التنبيه على الانتفاع بقوله: ليأكلوا عن ذكر الثمار حتى قال: وفجرنا فيها من العيون

(١) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٣).

(٢) (التحرير والتنوير (٢٧ / ٢٣١).

وقال في الحب: فمنه يأكلون عقيب ذكر الحب، ولم يقل عقيب ذكر النخيل والأعناب ليأكلوا؛ لأن الحب قوت وهو يتم وجوده بمياه الأمطار ولهذا يرى أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الأشجار والزرع والحراثة لا تبطل هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجودا، وأما الثمار فلا تتم إلا بالأنهار ولا تصير الأشجار حاملة للثمار إلا بعد وجود الأنهار فلهذا آخر^(١).

تنبيههم بطريقة عملية أشبه بالتلقين

فإنه سبحانه لما لم يجد شكرهم بعد كل هذه النعم التي نشأوا فيها فعل العاقل المريد دوام النعم نبيهم على طريقة شكرها على سبيل التعليم والتلقين فقال: { سبحانه الذي خلق الأزواج كلها } وفيها استدلال أيضا على أن من خلق هذا لا يكون له شريك ولا يكون عاجزا عن إحياء الموتى.

التكامل بين سنن الأنفس وسنن الأفاق

وهذا واضح في الجمع بين ما تنبت الأرض وأنفسهم وما لا يعلمون في قوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ } (٣٦)، ذكر الله تعالى أموراً ثلاثة ينحصر فيها المخلوقات.

فقوله: مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات والثمار.

وقوله: ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية.

وقوله: ومما لا يعلمون يدخل ما في أقطار السماوات وتحوم الأرضين^(٢).

(١) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٧) بتصرف يسير.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٥).

تناسب المزاوجة مع مقاصد السورة التي وردت فيها

نلاحظ هذا في المقارنة بين هذا النموذج المختار في سورة يس وحديث القرآن في سورة فصلت مثلاً، فهنا تناول النموذج الحديث عن الليل والنهار بعد أن تحدث عن الأرض يقول الإمام الرازي: «لما استدل الله بأحوال الأرض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي؛ فإن دلالة المكان والزمان مناسبة؛ لأن المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الأعراس، لأن كل عرض فهو في زمان^(١)».

وتناسب المزاوجة مع مقصد كل سورة وردت فيها بادي حين نقارن بين نموذج سورة يس ونموذج سور فصلت التي يقول القرآن فيها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت: ٣٧ - ٤٣].

هذا النموذج الذي حوى من سنن الأنفس:

- سنة الله في الملحددين في آياته
 - سنة الله في الذين كفروا بالذكر لما جاءهم.
 - سنة الله في مواقف الأمم مع رسلهم
- التهديد والوعيد والترغيب والترهيب الذي عقب على هاتين السنتين...
إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٣].

وحوت من سنن الآفاق:

- آيتي الليل والنهار
 - آيتي الشمس والقمر والدعوة إلى السجود لرب الشمس والقمر
 - الأرض الخاشعة التي تهتز وتربو لنزول الماء والربط بين إحيائها وإحياء الموتى
- ثم يأتي الفرق بين النموذجين في التناسب التام بين إيراد هذه المزاوجة ومقصد السورة على نحو عجيب؛ فسورة يس قدم فيها الحديث عن الأرض الميتة ثم أتى بعده الحديث عن الليل والنهار أما هنا في يس فالحديث عن الأرض الميتة وإحيائها أولاً ثم الحديث عن الليل والنهار لأن «المقصود أولاً هناك إثبات الوجدانية بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧] ثم الحشر بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٩] وهاهنا المقصود أولاً إثبات الحشر لأن السورة فيها ذكر الحشر أكثر، يدل عليه النظر في السورة، وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه: ﴿* قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٩] إلى غيره وآخر السورتين يبين الأمر^(١) ففي خواتيم فصلت يأتي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

(١) مفاتيح الغيب (٢٦ / ٢٧٥).

كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾
 سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ
 بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٢ - ٥٣]. وفي خواتيم يس يأتي
 قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا
 الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ
 الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
 أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣].

التكامل في المزوجة بين سنن الأنفس وسنن الأفاق

ومن التكامل والتناسب أن يأتي النموذج القرآني بالحديث عن الليل الذي فيه الظلمة التي تتشابه مع الأرض وظلمتها كما أن الليل فيه «سكون الناس وهدوء الأصوات وفيه النوم وهو كالموت ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الأرض: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾ [يس: ٣٣] فذكر من الزمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت.»^(١)

ولم تكتف الآية بذكر الليل وحده بل أشبعت الأمر وضوحاً (نسلخ منه النهار)؛ لتبين بضده مناعه، ولذا لم يذكر الليل في القرآن إلا وذكر معه النهار، وسبحان من كان هذا كلامه ونظامه وناموسه.

الجمع بين الضروري والنافع للعباد

من ملامح المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق أن يجمع القرآن في حديثه بين الضروري للعباد الذي لا تقوم حياتهم إلا به والنافع الزيني الذي هو حلية لهم ومتاع؛ ف«الأمر التي أنعم الله بها على عباده منها ضرورية ومنها نافعة والأول للحاجة والثاني للزينة فخلق الأرض وإحيائها من القبيل الأول فإنها المكان الذي لولاه لما وجد الإنسان ولولا إحيائها لما عاش والليل والنهار في قوله: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾ [يس: ٣٧] أيضاً من القبيل الأول، لأنه الزمان الذي لولاه لما حدث الإنسان، والشمس والقمر وحركتهما لو لم تكن لما عاش، ثم إنه تعالى لما ذكر من القبيل الأول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين إحداهما: الفلك التي تجري في البحر فيستخرج من البحر ما يتزين به كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ﴾ [فاطر: ١٢] وثانيتهما: الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر^(١).

● كما لاحظت أن الحديث عن سنن الجزاء يأتي دوماً مع الحديث عن خلق السموات والأرض؛ وكأن فيها إشارة إلى أن من أقام السموات والأرض بالعدل في الأكوام يقيم الحساب والجزاء بالعدل في الإنسان ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٣ - ٤].

◉ المزاوجة بين الحديث عن التغيير بالنصر بإيراد الحديث عن تغير الليل والنهار؛ كأن فيها إشارة إلى أن القادر على تغيير الليل إلى نهار والنهار إلى ليل قادر على أن يحيل المظلوم منتصرا والظالم منكسرا ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [الحج: ٦٠ - ٦١].

◉ المزاوجة بين الحديث عن الخلق والحديث عن الهداية؛ كأن من له حق الخلق له حق الهداية ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام: ١].

◉ المزاوجة بين إتياء الملك ونزعه بالحديث عن إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

◉ المزاوجة بين سنن التغيير والحديث عن البرق والسحاب والرعده والصواعق ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَتِ كُهُ مِنْ خِيَفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١١ - ١٣].

المطلب الثاني



غايات ومقاصد منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

لهذه المنهجية القرآنية في المزاجية غايات ومقاصد من أهمها:

الإشارة إلى وحدة مصدر سنن الأنفس والآفاق

لله في كونه كتابان مسطور ومنظور فالمسطور هو القرآن والمنظور هو الكون، فالكون قرآن منظور والقرآن كون مسطور، والقرآن كلام الخير والكون صنع الخير، ولا يخالف كلام الخير صنعه؛ لذا لن تجد آية قرآنية تناقض آية كونية ولا سنة تكليفية تتعارض مع سنة كونية والسبب واضح أن صاحب الأمر هو صاحب الخلق وأن سنن الأنفس وسنن الآفاق مصدرها واحد وهو الله رب العالمين.

وقد دلت نصوص القرآن الكريم المتكاثرة على وحدة مصدر هذين الفرعين من فرعي السنن المسطور والمنظور أو الآيات التشريعية والآيات الكونية أو الأمر الكوني والأمر القدري بصورة لافتة، ومن هذه النصوص الكريمة

١ - قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّئَلَّيِّنَ لَكُمْ

وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا دَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْتَبَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ [الحج: ٥ - ١٠].

وسرى وحدة المصدر ظاهرة جليلة في كل تعبير من تعبيرات الآيات الكريمة فخلق العبيد من تراب وجعل المضغة مخلقة وغير مخلقة ليبين لنا مسند إليه سبحانه، وإنزال الماء على الأرض الهامدة فتهتز وتربو مسند إليه، وتعليل هذا الصنع الحكيم كله القائم على عماد اسم الإشارة (ذلك) مفض إلى نتيجة حتمية قدرية هي ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٦].

٢- وقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠١﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٠٣﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ وَلَئِن

سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ [العنكبوت: ٥٩ - ٦٤].

فسنن الله تعالى في الأنفس المتمثلة في سنة الله في الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وسنة الله تعالى في الرزق، مربوط كله بسنن الله في الأفاق من خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وبسط الرزق لمن يشاء من عباده وإنزال الماء من السماء لإحياء الأرض بعد موتها كل هذا مربوط بمصدر واحد يعبر القرآن عنه بضمير العظمة ﴿لِنُبَيِّنَهُنَّ﴾، ومرة يعبر عنها بالاسم الأجل الأعظم ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾.

٣- وقوله تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادُّعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ [الحج: ٦٣ - ٦٧].

إنك واجد في هذه الشريحة الكريمة من الآيات التعبير عن الله صراحة أو ضميرا ست عشرة مرة في قرابة أربعة أسطر، ويتنوع الإسناد من سنن في الأنفس إلى سنن في الأكوان؛ إشعارا بأن مصدرها واحد هو الله رب العالمين،

فهذه النصوص وغيرها من النصوص الغنية الثرية المتكاثرة التي إن تفكرنا فيها وجدنا «العلاقة الواضحة بين كون الله سبحانه هو الحق، وبين خلقه لهذا الكون وتدبيره بنواميسه ومشيتته بالحق، وبين الظواهر الكونية التي تتم بالحق. وبين تنزيل هذا الكتاب بالحق، وبين الحكم بين الناس في الدنيا والآخرة بالحق.. فكله حق واحد موصول ينشأ عنه جريان قدر الله بما يشاء، وتسليط القوى الكونية بالخير والشر على من يشاء وفق ما يكون من الناس من الخير والشر في دار الابتلاء. ومن هنا كان ذلك الربط بين الاستغفار والتوبة، وبين المتاع الحسن وإرسال السماء مدراراً... فكل أولئك موصول بمصدر واحد هو الحق المتمثل في ذات الله سبحانه وفي قضائه وقدره، وفي تدبيره وتصريفه، وفي حسابه وجزائه، في الخير وفي الشر سواء..»^(١)

إن سنن الله تعالى في المجتمع جانب من جوانب الفكرة القرآنية التي بثها الله في آيات هذا الكتاب المبين نظاماً اجتماعياً مترابطاً إلى جانب سنن الله العامة في الكون، التي تصور فلسفة القرآن في فهم الحياة كما تصور حكمته في نعوت الكمال لله تعالى خالق الحياة، وفلسفة القرآن تجعل من الكون كله حقيقة واحدة طوى فيها خالقها دلائل وجوده، وبراهين وحدانيته، وآيات قدرته وعلمه وحكمته، ووكل إلى العقل البشري تكليفاً وتشريفاً الكشف عن هذه الدلائل والبراهين بما أودع فيه من قوة إدراكية غائصة، وبما أمده به من عون في تهديه إليها، وهذا المعنى هو خلاصة وعد الله تعالى لهذا العقل بالكشف عن آيات الله تعالى ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣]^(٢).

(١) في ظلال (١٠/٢٧٣).

(٢) سنن الله في المجتمع، ص ٤.

الاستدلال بالنعم على المنعم وبالكون على المكون

من غايات القرآن الكريم ومقاصده الدلالة بالكون على مدبر الكون، والانتقال بالعباد من النعم إلى المنعم، ومن الأثر إلى المؤثر؛ لذا كثرت في القرآن الكريم الدعوة إلى النظر والتأمل والسير والتفكير في جنبات الأرض وما عليها والسموات وما فيها، ولم يترك القرآن وسيلة لتنبه الخلق إلى الخالق إلا دهم عليها وأرشدهم إليها، ومن هذا المقصد الكلي في القرآن الكريم مزج القرآن بين آيات سنن الآفاق وسنن الأنفس وكلما ذكر سنة من سنن الأنفس مزج معها ما يناسبها من سنن الآفاق، فمثلا حين تحدث القرآن عن مجموعة من سنن الله تعالى في سورة الحج شملتها الآيات من ٥٦ - ٦٢ شملت سنن الله تعالى في الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وسننه سبحانه في الذين كفروا وكذبوا، وسننه في الذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا، وسننه فيمن بغى عليه، يعقب على هذا كله بأنه سبحانه مولج الليل في النهار ومولج النهار في الليل وأنه الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأنه سبحانه سميع بصير علي كبير ثم يلفت النظر إلى الكون وما فيه ودقايقه وخوافيه وظواهره البادية للعيان تلك التي تألفها عيون البشر فتعتادها فيذهب أثرها وتفقد قيمة تأثيرها فيهم فيأتي التعقيب اللافت لأمر يراه الناس كل حين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

«ونزول الماء من السماء، ورؤية الأرض بعده مخضرة بين عشية وصباح.. ظاهرة واقعة مكرورة. قد تذهب الألفة بجذتها في النفوس. فأما حين يتفتح الحس الشاعر، فإن هذا المشهد في الأرض يستجيش في القلب شتى المشاعر والأحاسيس. وإن القلب ليحس أحيانا أن هذا النبات الصغير الطالع من سواد

الطين، بخضرته وغضارته، أطفال صغار تبسم في غرارة لهذا الوجود الشائق البهيج، وتكاد من فرحتها بالنور تطير! والذي يحس على هذا النحو يستطيع أن يدرك ما في التعقيب بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.. من لطف وعمق ومشاكلة للون هذا الإحساس، ولحقيقة ذلك المشهد وطبيعته. فمن اللطف الإلهي ذلك الدبيب اللطيف.

دبيب النبتة الصغيرة من جوف الثرى، وهي نحيلة ضئيلة، ويد القدرة تمدها في الهواء، وتمدها بالشوق إلى الارتفاع على جاذبية الأرض وثقله الطين.. وبالخبرة الإلهية يتم تدبير الأمر في إنزال الماء بقدر في الوقت المناسب وبالقدر المطلوب ويتم امتزاج الماء بالتربة، وبخلايا النبات الحية المتطلعة إلى الانطلاق والنور! والماء ينزل من سماء الله إلى أرضه، فينشئ فيها الحياة، ويوفر فيها الغذاء والثراء.. والله المالك لما في السماء والأرض، غني عما في السماء والأرض. وهو يرزق الأحياء بالماء والنبات، وهو الغني عنهم وعما يرزقون: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَلْغَنِي الْحَمِيدُ﴾. فما به سبحانه من حاجة إلى من في السماء والأرض، أو ما في السماء والأرض فهو الغني عن الجميع.. وهو المحمود على آلائه، المشكور على نعمائه، المستحق للحمد من الجميع^(١).

الدعوة العملية إلى عبادة الله وحده فإن من له الخلق له الأمر

في آيات سورة الحج التي تناولت صوراً من مشاهد الكون الفسيح من إنزال الماء من السماء فتصبح الأرض مخضرة، وتؤكد أن ما في الأرض والسماء للغني الحميد وتسخير الله تعالى للعبد الفلك التي تجري في البحر بأمر الله يأتي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ

(١) في ظلال القرآن (١٣/٢٠٥).

لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ [الحج: ٦٦] لتظهر «دلائل القدرة ودقة الناموس بالانتقال من الكون إلى النفس وعرض سنن الحياة والموت في عالم الإنسان، والحياة الأولى معجزة، تتجدد في كل حياة تنشأ أثناء الليل وأطراف النهار. وسرها اللطيف ما يزال غيبا يحار العقل البشري في تصور كنهه.. وفيه مجال فسيح للتأمل والتدبر.. والموت سر آخر يعجز العقل البشري عن تصور كنهه، وهو يتم في لحظة خاطفة، والمسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة عريضة ضخمة.. وفيه مجال فسيح للتأمل والتدبر..

والحياة بعد الموت - وهي غيب من الغيب، ولكن دليله حاضر من النشأة الأولى.. وفيه مجال كذلك للتأمل والتدبر..

ولكن هذا الإنسان لا يتأمل ولا يتدبر هذه الدلائل والأسرار: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ .

والسياق يستعرض هذه الدلائل كلها، ويوجه القلوب إليها في معرض التوكيد لنصرة الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد عن نفسه العدوان. وذلك على طريقة القرآن في استخدام المشاهد الكونية لاستجاشة القلوب، وفي ربط سنن الحق والعدل في الخلق بسنن الكون ونواميس الوجود»^(١).

﴿إقامة الحججة والبرهان بالكون المسخر على العبد المخير﴾

من يتأمل آيات القرآن الكريم يجد أنها تحفز النفس حفزا وتحثها حثا على أن تكون جزءاً من الفلك الدائر والكون الماخر الذي يسبح بحمد ربه وأن لا يكون شاذاً ولا نشازاً عن منظومة هذا الكون البديع الخاضع لقهر الملك

(١) في ظلال القرآن (١٣ / ٢٠٨).

وإرادته، السابح في تمجيده كما قال تعالى بعد أن عرض إنكار الإنسان المهزول عن الخضوع لأمره والنزول على حكمه؛ رغم ما صرف له تعالى في القرآن ليذكر ويتعقل، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ٤١﴾ قُل لَّوْكَانَ مَعَهُ إِلهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ٤٢ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤٣ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤١ - ٤٤].

وهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتنفض روحا حية تسبح الله. فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسيحة واحدة شجية رحية، ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال.

وإنه لمشهد كوني فريد، حين يتصور القلب. كل حصاة وكل حجر. كل حبة وكل ورقة. كل زهرة وكل ثمرة. كل نبتة وكل شجرة. كل حشرة وكل زاحفة. كل حيوان وكل إنسان. كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء.. ومعها سكان السماء.. كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه. وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه ومما لا يراه، وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا.. سمعه يسبح لله، وينبض بالحياة. ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ يسبح بطريقته ولغته ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا تفقهونه لأنكم محبوبون بصفاقة الطين، ولأنكم لم تتسمعوا بقلوبكم، ولم توجهوها إلى أسرار الوجود الخفية، وإلى النواميس التي تنجذب إليها كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتتوجه بها إلى خالق النواميس، ومدبر هذا الكون الكبير.

وحين تشف الروح وتصفو فتتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح، ويتوجه بالتسبيح، فإنها تنهياً للاتصال بالملا الأعلى، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون، الذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود، النابضة في كل متحرك وساكن، وفي كل شيء في هذا الوجود^(١).

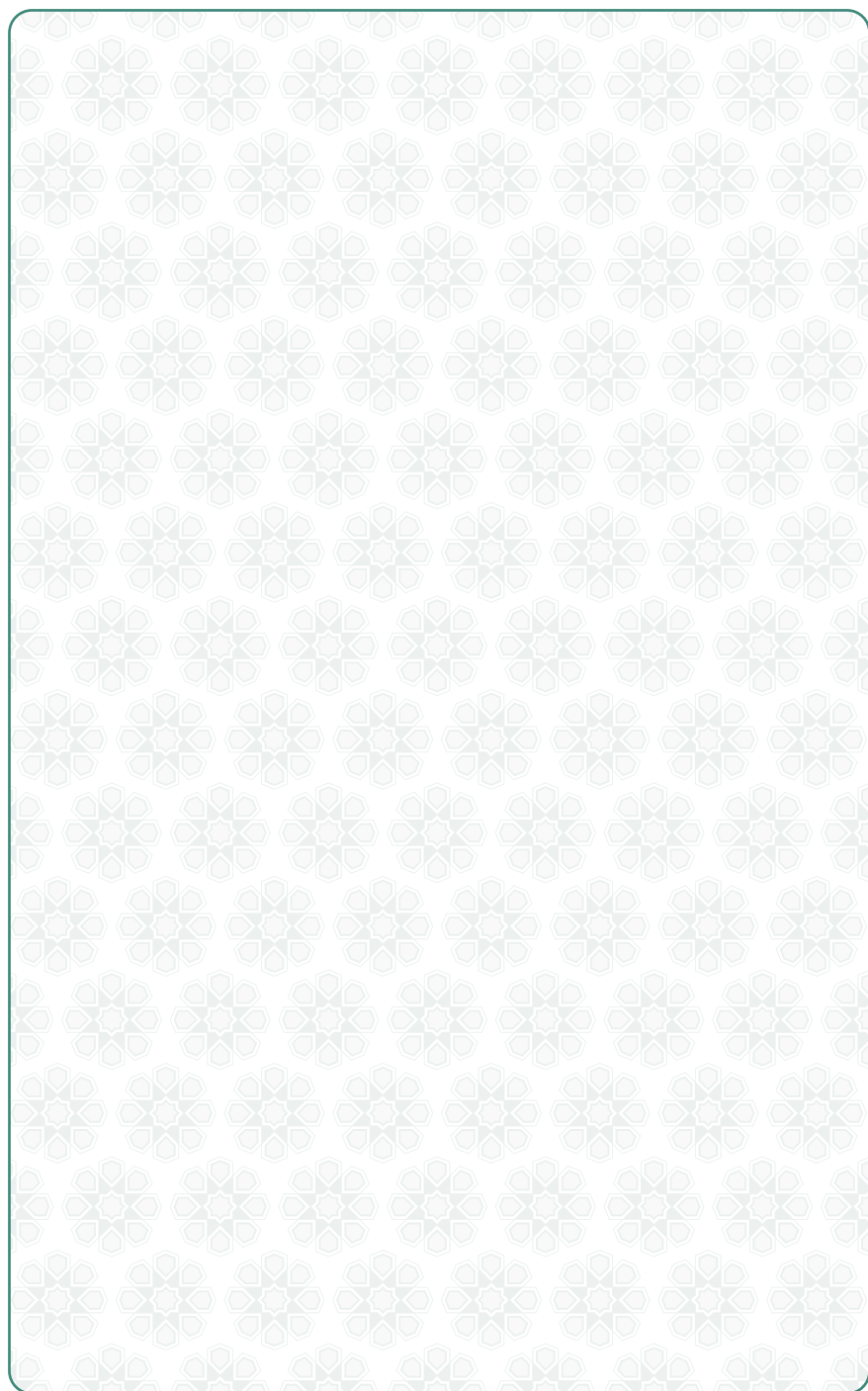
إن الله سبحانه ينبه بهذا الكون كله ينبه العبد أن يكون عبداً حقيقياً مسخراً لله تعالى ليسبح في هذا الفلك الماخر والكون الزاخر وينسجم مع من حوله من الكون والحياة من ذراته إلى مجراته، بل يعتب عليه أن يكون الكون كله كذلك وهو هو وحده الشاذ عن هذه الصفوف المتراسة الشارد عن هذه القافلة السائرة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٥ - ٦٦].

فالله تعالى سخر لهذا العبد نعمه التي لا تعد وعطاياه التي لا تحصى حتى يكون هذا التسخير سبيلاً إلى رد العبد إلى ربه وعرفانه بخالقه ورازقه، فمن سخر له هذه الأمور، وأنعم عليه بها هو الذي أحياها فنبه بالإحياء الأول على إنعام الدنيا علينا بكل ما تقدم.

ونبه بالإماتة والإحياء الثاني على نعم الدين علينا، فإنه سبحانه وتعالى خلق الدنيا بسائر أحوالها للآخرة وإلا لم يكن للنعم على هذا الوجه معنى. يبين ذلك أنه لو لا أمر الآخرة لم يكن للزراعات وتكلفتها ولا لركوب الحيوانات وذبحها

(١) في ظلال (١٦٤ / ١٢).

إلى غير ذلك معنى، بل كان تعالى يخلقه ابتداء من غير تكلف الزرع والسقي، وإنما أجرى الله العادة بذلك ليعتبر به في باب الدين ولما فصل تعالى هذه النعم قال: إن الإنسان لكفور وهذا كما قد يعدد المرء نعمه على ولده، ثم يقول إن الولد لكفور لنعم الوالد زجراله عن الكفران وبعثاله على الشكر، فلذلك أورد تعالى ذلك في الكفار، فبين أنهم دفعوا هذه النعم وكفروا بها وجعلوا خالقها مع وضوح أمرها^(١).



المبحث الثاني

آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله
في الأنفس والآفاق

الناظر لتناول القرآن الكريم لسنن الأنفس والآفاق يجد أن هذا تناول كان على مستويين واضحين، مستوى الفردية ومستوى المجتمعية، ورتب نتائج كل نوع على مقدماته بصورة مطردة لافتة، بل مايز بين أنواع السنن الفردية داخل حقلها الخاص بصورة تدعو إلى التأمل الباني والتفكر المنتج الذي يحمل على إحسان تنزيل كل حقل من حقول السنن على ما يناسبه، ومن الخطأ الذي أراه في بعض الكتابات السننية أن يذهب كاتب إلى تنزيل سنن الأفراد على الشعوب أو الأمم أو العكس فيحمل السنة على غير مقصودها أو ينزلها على غير مناطقها فتأتي كأنها رقم على ماء أو زراع في هواء.

لذا فالوعي بإدراك كل حقل من حقول السنن العامة (الأنفس - الآفاق) والوعي بالسنن الفردية كل سنة على حدة والجماعية كل سنة على حدة من أهمية التنزيل بمكان؛ فأحسان التصور بداية إحسان السلوك.

من هنا سأتناول هذه الآثار والنتائج على مستويين مستوى الفرد ومستوى المجتمع في المطلبين الآتين

المطلب الأول



آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس والآفاق على الفرد

عُني القرآن الكريم بالفرد عناية فائقة فهو أساس هذا الكون؛ من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي إذا صلح صلح به الكون ونعمت به الحياة فكان هو إنسان الشهود لا إنسان الجحود وإنسان العرفان لا إنسان النكران

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ❁❁❁ إذا لم يكن فوق الكرام كرام

شملت آيات السنن الفرد على مستوى ذاته في العقل والقلب والضمير وارتباطه بالكون وأمره بالسير والنظر والتدبر والتأمل في السنن الفردية وهذه نماذج منتخبة انتخاباً أولياً من الآيات التي عنيت بسنن الله في الأفراد:

١- ففي سنن الجزاء يأتي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ وَكِيلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

٢- وفي سنن العمل في الخير والشر الذي يحاسب بالفرد فيه على الذرة يأتي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

٣- وفي سنن تركية النفس يأتي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥].

٤- وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٩ - ١٠].

٥- وفي سنن العاقبة والأمر بالنظر فيها يأتي قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ [الأعراف: ٨٤].

٦- وفي سنن الله في الظالمين يأتي الأمر للفرد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣].

٧- وفي سنن الله تعالى في المفسدين يأتي قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [يونس: ٣٩].

٨- وفي سنن التاريخ وأحوال الأمم يأتي قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ [يونس: ٧٣].

٩- وفي سنن الله في المفسدين يأتي أمره تعالى للفرد بالنظر في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [النمل: ١٤].

١٠- وفي سنن الله في المكر والمكرين يأتي قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥١﴾ [النمل: ٥١].

١١- وفي سنن الله تعالى في الظالمين يأتي قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٠].

١٢- وفي سنن خلق الإنسان يدعو القرآن الكريم إلى معرفة نفسه أولاً ليعرف ربه ثانياً ثم يوقفه على الجزاء والمصير، في قوله تعالى ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۗ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۗ إِنَّهُ وَعَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۗ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۗ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۗ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۗ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطَّارِق: ٥ - ١٢].

١٣- وفي علاقته بالآفاق حوله يأتي أمره تعالى للفرد بالنظر إلى أخص شيء يحيا به وهو طعامه في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۗ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ وَفَكِهَةً وَأَبًّا ۚ مَتَلَعَا لَكُمْ ۗ وَلَا نَعْمِيكُمْ ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

ومن هذا تتبع البسيط نلاحظ أن سنن الفرد تنوعت فحديث عن سنن التزكية والتدسية وسنن العقابة والمصير وسنن جزاء المفسدين إلى الحديث عن السنن التاريخية وأحوال الأمم الغابرين، إلى الحديث عن أصل خلقه هو وربط هذا الخلق بالخالق تعالى، وأن الذي خلقه أول مرة قادر على أن يعيده مرة أخرى، كما قال سبحانه: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۖ وَعَدًّا عَلَيْنَا ۗ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم ربط هذا بسنن الآفاق حوله السماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع.

هذا التناول السنني الذي يجعل الإنسان إنسانا سننيا وقافا على ما يعنيه من الحياة والأحياء سواء في خاصة نفسه أو خلقه أو في ضميره أو عقله يجعله إنسانا مربوطا بمصدره متطلعا إلى مصيره القائم على حسابان دقيق، فكما أن الشمس والقمر ﴿مُحْسِبَانِ﴾ فكذلك أفعاله هو وما يترتب عليها تقاس بمثقال الذر في الخير والشر.

هذا الفرد الرباني الذي يدرك نفسه ويعرف ربه هو عارف بزمانه مقبل على شأنه هو الفرد السنني الواعب للواقع المدروس الذي يدرك الفرص والتحديات والقدرات والإمكانات ويفرق بين المباح والمتاح والقدرة والإمكان.

هذا الإنسان السنني كما صورته القرآن إنسان يدرك أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من النفس المجاهدة ويتتهي بالأمة الشاهدة.

هذا الإنسان السنني الذي تعرضه مجموعة السنن هذه يدرك نفسه ومهمته في ضوء منظومة سننية كونية متكاملة خاضعة لنواميس محددة وراسخة يتأتى على يديه على مستوى الوعي نتاج وعلى مستوى السعي نتاج:

فإنسان السنن على مستوى الوعي ينتج لديه صحة في التصور وحساسية في الشعور ويقظة في الضمير وتوكل رشيد لا تواكل فيه وتزكية متوازنة لا رهبانية فيها ومجاهدة محسوبة لا قسوة فيها ولا وكس ولا شطط، واتصال بالكون اتصالا يقوم على الانسجام لا الانفصام والتآلف لا التعاند ولا التخالف؛ لأنه يدرك أنه فرد في منظومة متناغمة وجزء من فلك ماخر وكون زاخر يغذ في مسيره إلى الله تعالى، كما صور القرآن الكريم في ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأَلَّفَ بِنَاكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٤ - ٩٦].

فالذي يعرف انسجامة مع الكون يتخذ موقف يعقب عليه السلام يدرك أن
الريح من جند الله ويوسف من جند الله ويعقوب نفسه من جند الله فالكل
سابع في فلك مستريح ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ والذي يشذ عن هذا الكون
المنسجم يتخذ موقف أبناء يعقوب ذاهلين عن هذا الترابط حتى: ﴿قَالُوا
تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾ [يوسف: ٩٥].

● إنسان السنن على مستوى السعي يدرك الفروق بين وظائف الفرد
وظائف المجتمع، فيعرف السببية ويحترم المسؤولية لا يلقي مهامه على غير
ولا يلوم القدر على إخفاقه وتقصيره لأنه ليس عاجز الرأي الذي قال فيه
الخليل بن أحمد الفراهيدي:

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مَضِياعٌ لِفِرْصَتِهِ ❀ ❀ ❀ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَا (١)

عندما يدرك إنسان السنن هذا يقدر على تغيير ذاته حسب سنن الله في النفس
والآفاق لأنه يشعر أنه جزء من عالم كبير فسيح منداح منسجم مترابط يسبح
كله للملك حالا ومقالا، ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وتزعم أنك جرم صغير ❀ ❀ ❀ وفيك انطوى العالم الأكبر (٢)

كما يتولد لديه على الانتقال من المحسوس إلى المجرد فتكون قراءته للكون
قراءة مربوطة برب الكون قراءة بانية على نتاج من سبقوه يفيد منها ويعلي عليها

(١) منسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ولم أعر عليه في ديوانه.

(٢) ديوان علي بن أبي طالب من قصيدته: دوانك فيك وما تبصر، جمع عبد العزيز الكرم، ط
أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ص ٤٤.

مهما طال الزمن بني الخالف والسالف، اعتنى القرآن بذلك عناية فائقة ولفظ النظر إليها في سور عديدة وآيات كثيرة لما في ذلك من عبر ودروس وعظات تجعل السالف قادرا على إفادة الخالف، مهما طال الأمد فيما بينهما وتجعل الخالف يرى نتائج أفعال من سبقوه فيدرك ان أفعاله -أيضا- سيكون لها من الآثار مثل ما لأفعال من سبقوه إن خيرا فخير وإن شرا فشر وفي ذلك تكريس لمبدأ «المسؤولية الفردية والأثر الجماعي أو المجتمعي»؛ فيتعلم الإنسان بذلك كيفية الانضباط في أفعاله وتصرفاته ويتهيأ عقله ونفسه لقبول مبدأ «الجزاء والعقاب والثواب» ويتعلم النظر فيما يرث عن الآباء نظر الفاحص الناقد المعبر، فيتخلص من هيمنة «الآبائية» وتقليها ومتابعتها على الحق والباطل، ويدرك كذلك أن للأمم التي خلت ما كسبت ولنا ما نكسب، ولا يغني أحد عن أحد من الله شيئا^(١).

لقد ضرب القرآن الكريم نماذج فردية في هذا الباب جديرة بالتأمل والتأسي وهي نماذج عديدة وراشدة جمعت صفة إنسان السنن الجامع بين الوعي والسعي، وإذا وقفنا مثلا أمام نموذج واحد من هذه النماذج وجدنا تحقق هذه الصفات فيه بصورة جلية بينة، فذو القرنين مثلا بدت فيه هذا المعاني بصورة واضحة فعلى مستوى الوعي كانت الرؤية لديه واضحة فعلى مستوى الوعي لما قيل له: ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَدِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] كان الميزان لديه معتدلا قائما بالقسط، فقال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ [٨٧] وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [٨٨] ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٧ - ٨٩].

(١) الجمع بين القراءتين الوحي والكون، ط دار السلام، بدون، أد طه جاب العلواني.

وعلى مستوى السعي لما قيل له: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، لم يرد أن يقبل منهم العطاء وينوب عنهم في العمل بل حرص على أن يورثهم مهارة تبقى معهم، ويمنحهم وظائف العمران فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] ءأتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال أنفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءأتوني أفرغ عليه قطرا [الكهف: ٩٦]، فأشركهم معه خطوة خطوة في مراحل التخطيط ومراحل التنفيذ ومراحل التربص والانتظار.

ينتج هذا التزواج تأصيلا ونفعيلا

- عقلية منظمة تحسن الوعي بالواقع والاعتباس منه، وتتعلم من تجارب الأسلاف وتبني على تراثهم.
- عقلية نقدية تتعامل مع سنن الكون والحياة.
- سلوك عملي متوازن يطالع كتاب الكون وكتاب الوحي.
- صحة في الفهم ورشد في التصور.
- شعور بتماسك الكون كله من حوله وأنه جزء من منظومة متكاملة.

المطلب الثاني



آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس والآفاق على المجتمع

كما عني القرآن الكريم بالفرد في لفت نظره إلى سنن الأنفس والآفاق والمزاجية بينهما عني كذلك بالمجتمع الذي يتكون من هؤلاء الأفراد؛ فأنت آياته داعية لهم إلى النظر والتدبر، والسير والتفكير وربط ما يرون من آفاق وسيعة بسنن الله تعالى في الأنفس، وغنيت آيات القرآن الكريم بهذه الأوامر والتوجيهات ومزجت بينهما بصورة لافتة، ومن نماذج هذا:

١ - حديث القرآن الكريم عن سنن الخلق والهداية، والسنن التاريخية التي أجزاها الله تعالى على القرون الأولى، فقال مخبراً عن فرعون حين سأل موسى عليه السلام: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ٥٢﴾ [طه: ٤٩ - ٥٢].

ثم ربط بين هذه السنن التاريخية وسنن الخلق والهداية بسننه في الآفاق فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَوَّلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ٥٦﴾ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمُ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْمَىٰ ٥٧﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ [طه : ٥٣ - ٥٦].

٢- وحديث القرآن عن سنن التمكين في الأرض وجعله لهم منها معاش مع خلق آدم وذريته وتصويرهم وإسجاد الملائكة لهم، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف : ١٠ - ١١].

٣- وحديث القرآن عن سنن الله تعالى في الإيمان والكفران، وربط هذا بدعوته إلى النظر في السماوات والأرض، وإن كان هذا النظر والسير لا ينفع من أغلق بصيرته وإن نظر ببصره، ثم تذكير لهم بسنن الله تعالى التي أجراها على القرون الخالية، ثم تهديده لهم بسنن التريص والانتظار، فإنه لا يكون إلا ما أراد الله تعالى ولا يكون النصر إلا لمن استجمع أسبابه، فكان نصره حقا على الله تعالى فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس : ١٠٠ - ١٠٣].

٤- أمر القرآن لرسول الله تعالى بأن يخبر قومه أن يسيروا في الأرض، وأن يفيدوا من سنن العاقبة التي حقت على المكذبين، وربط لذلك بكون ما في السماوات والأرض لله، وأنه تعالى من رحمته أن يجمع الناس إلى يوم

القيامة لا ريب فيه، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ١١ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٢ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ١٣ ﴿[الأنعام: ١١ - ١٣].

٥- وحديث القرآن الكريم عن سنن الله تعالى في الأمم المكذبة وعن حكمته تعالى في بدء الخلق وإعادته وأن ذلك عليه يسير، ودعوة الناس إلى السير في الأرض ليروا كيف بدأ الله الخلق وقيسوا على ما رأوا إمكان النشأة الآخرة فيقول: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ١٨ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١٩ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ ﴿[العنكبوت: ١٨ - ٢٠].

إلى غير هذه المواطن الكريمة التي تمزج بين السنن الاجتماعية والتاريخية وسنن العاقبة وغيرها مع الدعوة إلى السير والنظر والاعتبار والادكار، وتبدو آثار هذا المزج في إيقاف الخلق على سنن الله الماضية في الأنفس والآفاق وأن الوعي بالقراءتين مهم وضروري وملح في التغيير والتأثير، والانعقاد والانطلاق، وأن الوقوف عند قراءة واحدة لكتاب الكون أو كتاب الوحي قراءة شوهاء لا تجمل، عرجاء لا تمضي خداج لا تقبل؛ لأننا لدينا كتابان كتاب الوحي وكتاب الكون، «كتاب منزل متلو معجز وهو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والوجود بدءاً من الإنسان، ولا بد من قراءتها - معا - لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة التي تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف وأداء حق

الأمانة، والقيام بمقتضيات العمران. وهي معرفة لا تقوم على التلقي وحده بل على الأخذ عن الغير بالمراجعة والمطالعة وقراءة الكتب وكتابتها وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر، واستعمال القلم - الذي علم الله به وجعله وسيلة للمعرفة وتبادلها وإنائها وتناقلها»^(١).

● ومن تأمل آيات القرآن الكريم ومنهجيته في عرض آيات السنن ببصيرة أدرك تماما أن كل واحدة من القراءتين مهمة لا تغني عنها أختها ولا تغني هي عنها، «فالقراءتان فريضتان؛ لأنها أمران إلهيان، والجمع بينهما ضروري، إذ بدونه يقع الخلل؛ فمن تجاوز القراءة الأولى واستغرق كليا في القراءة الثانية - علم الوجود - فقد العلاقة بالله، وتجاهل الغيب وانطلق بفلسفة وضعية منبته عوراء قاصرة في مصادرها، تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة، وتعتبر الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات، إذا كانت قد مارست خلقا أو إيجادا فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى، ثم تناسته أو نسيته ليستمر الكون بعد ذلك فاعلا ومفتعلا بشكل آلي»^(٢).

وإذا توفرت هذه القراءة بتلك المنهجية المتوازنة بين قراءة المسطور والمنظور أو بتعبير د العلواني قراء في كتاب الكون وفي كتاب الوحي، أثرت في المجتمع تأثيرا جماعيا فصار هذا الوعي ثقافة أمة، فيحدث الانضباط على مستوى المجموع، ويدرك كل فرد أنه جزء في مملكة واسعة، تتجاوز فيه الصلاحيات

(١) الجمع بين القراءتين. طه جابر العلواني العدد ٣٢١ ربيع ١- ربيع ٢ / غشت - شتنبر، على هذا الرابط <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8072>. طوع ١٣-٥-٢٠٢٥ م، هذا وقد أوسع الدكتور طه رحمه الله هذا الموضوع بيانا في كتاب مستقل بعنوان: الجمع بين القراءتين من منشورات دار السلام.

(٢) الجمع بين القراءتين. طه جابر العلواني العدد ٣٢١ ربيع ١- ربيع ٢ / غشت - شتنبر، على هذا الرابط <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8072>. طوع ١٣-٥-٢٠٢٥ م.

والتكليفات وتوزع فيه الحقوق والواجبات، ويحدث وعي بسنن التداول والتدافع والعاقبة، فيتهيأ المجتمع للإقلاع الحضاري على مستوى التفكير والتصوير فيحسن الاقتباس كما يحسن التجاوز، ويجيد الانتقاء من تراثه حسب متطلبات عصره؛ فيكون ابن زمانه مقبلا على شأنه، مربوطا بالأصل، موصولا بالعصر، لا يقفز على تراثه ولا يتنكر لأصوله؛ لأن أول التجديد قتل القديم بحثا، كما كان يقول أمين الخولي رحمه الله، فنحن مطالبون بأن نقبس من التاريخ لا نقدسه، وفي الوقت ذاته لا نتجاوزه ولا نفقر عليه؛ لأن من ليس له ماضي ليس له حاضر ولا يتوقع أن يكون له مستقبل.

أو كما قال شوقي رحمه الله:

مَثَلُ الْقَوْمِ نَسُوا تَارِيحَهُمْ كَلْقِطِ عَيٍّ فِي النَّاسِ إِنْ تَسَابَا
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةٍ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي إِنْ قَضَابَا

وينتج من هذا التزاوج:

- عقل جمعي يدرك سنن النهوض والشهود والإقلاع الحضاري.
- فهم لأسباب الصراع المجتمعي ووضع حلول وبدائل له قبل حدوثه.
- رشد في اتخاذ القرارات الاستشرافية بناء على الوعي السنني.
- مناعة حضارية قائمة على أصول تراثية راشدة متجاوزة لخلل المرحلة الزمنية مراعية لتسارع التطور في الإنسان والبنيان والأفكار.

الخاتمة؛ أسأل الله حسنها،،،



وبعد،،، فهذه رحلة مائعة عشت فيها مع فكرة لفتتني إليها لفتا من أثر تباعي لعادة القرآن الكريم في عرض آيات السنن فبان منها الآتي:

● أن كل موضع وردت فيه سنة من سنن الله في الأنفس وردت فيه سنة من سنن الله في الآفاق.

● أن للقرآن منهجيةً مطردة في المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق.

● ضرورة الجمع بين القراءتين قراءة المسطور وقراءة المنظور حتى يتحقق الإقلاع الحضاري للأمة المسلمة.

● التناسب المطرد بين كل سنة وأختها في عرض القرآن الكريم.

● أن السنن عامة تحكمها منظومة متكاملة يمهد بعضها لبعض ويؤكد بعضها بعضاً.

● لا تتناقض آية تكوينية مع آية تكليفية.

● أن العلاقة بين سنن الأنفس والآفاق واضحة عموماً لكنها في التعليل والإفادة تحتاج إلى إمعان نظر وإدانة فكر.

● أن الإدراك المعرفي للمنهجية القرآنية في المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق مهم جداً في تحقيق الرشد على مستوى الفرد والمجتمع. في تعرف المهام والوظائف والحقوق والواجبات وفي التمايز بين ما له وما عليه فرداً ومجتمعاً.

◉ أن السياق الخاص الذي ترد فيه المزاوجة له تأثيرٌ على منهجية المزاوجة في القرآن الكريم بين سنن الأنفس وسنن الآفاق بحيث يؤدي إلى تنوع المنهجية بحسب السياق في كل موضع، فتأتي المزاوجة في القرآن الكريم متناسبة مع السياق السوروي ومحور السورة بل كثيرا ما تأتي متناسقة مع المفردات التي استعملتها السورة الكريمة

أوصي بـ:

- ◉ إيجاد برامج تدبرية تعين على إحسان الجمع بين قراءة المسطور والمنظور
- ◉ ضرورة تبني المؤسسات الفاعلة كمراكز **العليم** والتكوين هذه البرامج
- ◉ العود بالقراءة إلى المعرفة القرآنية من أهم الحلول المقترحة للبعد عن الطغيان بشتى صورته، كما نبهت سورة العلق.
- ◉ العمل على مشروع متكامل للوعي بمزاوجة القرآن بين سنن الأنفس وسنن الآفاق على مستوى القرآن كله.
- ◉ إعادة النظر في منظومة علوم القرآن وأدواته بما يتناسب مع إتاحت العصر حتى تنتج هذه العلوم معرفة حقيقة تسهم في تجاوز الأمات الراهنة.

والله وحده المستعان وعليه التكلان



أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: أهم المصادر والمراجع

- ١- التحرير والتنوير، ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، بدون طبعة، (١٩٨٤م).
- ٢- الجمع بين القراءتين الوحي والكون، ط دار السلام، أد طه جاب العلواني.
- ٣- خلق الإنسان بين العلم والقرآن، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦، للدكتور عبد الفتاح طيره.
- ٤- دلائل النبوة للبيهقي مخرجا (٢/ ١٩٩) أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.
- ٥- ديوان علي بن أبي طالب من قصيدته: دوائك فيك وما تبصر، جمع عبد العزيز الكرم، ط أولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٦- ديوان المتنبي، عناية مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية ط أولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م ت محمد البطشان.
- ٧- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، للمرحوم الشيخ محمد الصادق عرجون، ط الدار السعودية، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٨- في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب (١٣٨٧هـ)، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط/ ٣٢، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

- ٩- القرآن والعلم الحديث، د/ منصور محمد حسب النبي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١ م.
- ١٠- الله والعلم الحديث دار الشعب ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م للأستاذ عبد الرزاق نوفل
- ١١- المدخل إلى التفسير الموضوعي، لأستاذنا د عبد الستار فتح الله سعيد ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط: الثانية، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
- ١٢- المستدرك على الصحيحين للحاكم لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
- ١٣- مصنف ابن أبي شيبة ت: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.
- ١٤- المعجم الكبير للطبراني ت حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
- ١٥- مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- ١٦- النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- ١٧- نحو تفسير سنني لسور القرآن الكريم، ط أولى عام ٢٠١٤ م - ١٤٣٥ هـ ط دار المقاصد، در رمضان خميس. مواقع عنكبوتية/
- ١٨- موقع وزارة الأوقاف المغربية مجلة دعوة الحق: الجمع بين القراءتين. طه جابر العلواني العدد ٣٢١ ربيع ١ - ربيع ٢ / غشت - شتنبر، على هذا الرابط <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8072>.

فهرس العناوین



- مقدمة ٥
- المبحث الأول: غايات ومقاصد منهجية القرآن في المزاجفة بین سنن
الأنفس والآفاق ١١
- قبلیات معرفية ١٢
- التوازن والنظام: ١٤
- الإحكام المطلق: (تقدير) ١٧
- المطلب الأول: ملامح منهجية القرآن في المزاجفة بین سنن الأنفس وسنن
الآفاق ١٨
- التماسك والاتساق بین سنن الأنفس وسنن الآفاق ٢١
- التناسب بین سنن الأنفس وسنن الآفاق ٢٣
- الاستدلال بالظاهر الجلی والبعد عن الغامض الخفي بأبلغ الوجوه ٢٣
- البسط والتنويع في سنن الآفاق والاختصار في سنن الأنفس ٢٤
- التعقیب بآیات الآفاق على آیات الأنفس ٢٤

٢٤..... التودد إلى العباد بما فيه صلاحهم وسعادتهم

٢٥..... التدرج والترتيب في الاستدلال بسنن الآفاق على سنن الأنفس

٢٦..... تنبيههم بطريقة عملية أشبه بالتلقين

٢٦..... التكامل بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

٢٧..... تناسب المزاجية مع مقاصد السورة التي وردت فيها

٢٩..... التكامل في المزاجية بين سنن الأنفس وسنن الآفاق

٣٠..... الجمع بين الضروري والنافع للعباد

المطلب الثاني: غايات ومقاصد منهجية القرآن في المزاجية بين سنن

الأنفس وسنن الآفاق..... ٣٢

٣٢..... الإشارة إلى وحدة مصدر سنن الأنفس والآفاق

٣٥..... الاستدلال بالمنعم على المنعم وبالكون على المكون

٣٧..... الدعوة العملية إلى عبادة الله وحده فإن من له الخلق له الأمر

٣٨..... إقامة الحجة والبرهان بالكون المسخر على العبد المخير

المبحث الثاني: آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس

والآفاق..... ٤٣

المطلب الأول: آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس

والآفاق على الفرد..... ٤٥

- المطلب الثاني: آثار منهجية القرآن في المزاجية بين سنن الله في الأنفس
والآفاق على المجتمع..... ٥٢
- الخاتمة؛ أسأل الله حسنهما،، ٥٧
- فهرس المصادر والمراجع ٥٩
- أولا القرآن الكريم..... ٥٩
- ثانيا أهم المصادر والمراجع ٥٩
- فهرس العناوين ٦١

